المفكر المصلح محمد فاضل الجمالي وفلسفته التربوية

أ. م. د. عبد الكريم محسن الزهيري
قسم العلوم التربوية والنفسية / كلية التربية / جامعة الأنبار

أهمية البحث والحاجة إليه:

تعد مهنة التعليم من المهن المهمة في حياة الأمم والشعوب، وان قائد هذه المهمة ومهندسها هو المعلم فهو المخطط والمنفذ للعملية التعليمية، وعليه يتوقف تقدم أو تأخر المجتمعات وهو من يساهم في بناء فكرها التربوي، ولكي يصبح المعلم معلماً جيداً عليه أن يشاهد غيره من المعلمين في أثناء عملهم ولعدد غير قليل ومحدود لكي يتمكن من التمييز بين نقاط الضعف والقوة عند كل منهم واستنباط مبادئ التعليم مما يراها علمية وعملية وذات نتائج ايجابية ويمكن الإفادة منها من قبل الطلبة (١٦:ص١٢٠).

إن تشخيص الصعوبات التربوية ودراستها من اجل معالجتها مستقبلاً وتجاوزها في الأعوام القادمة وتوفير ظروفا وأجواء دراسية أفضل لكي تنعكس ايجابياً على مستوى التحصيل الدراسي ورفع مستوى نسبة النجاح وتقليل الهدر وضعف المستوى العلمي للطلبة (١٧:ص ١٧٦).

لقد اختلفت الفلسفات بين شعوب العالم باختلاف ما كان يدور في تلك الشعوب، والحضارات من تصورات واعتقادات دينية مختلفة، ولقد كانت هناك فلسفات يونانية وإغريقية وهندية وفارسية، وكان من واجبات هذه الفلسفات البحث عن الحقيقة أين ما وجدت. ويلاحظ إن العالم يتغير ويتطور تغييراً سريعاً، والتطور الذي يحدث في الحضارات الإنسانية يكون نتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي، ولذلك لابد من أن يتغير مفهوم الفلسفة علمياً، فعالم اليوم متغير، لا يتسم بالثبات لأنه عالم متحرك في كافة الأنظمة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية (١٥: ص ٤١٦).

فالفرد يكتسب عادات وقيم وأساليب جديدة، ولذلك ينظر إلى الفلسفة على إنها المجهود المنظم المستمر من جانب الرجل العادي والرجل المتعلم لكي يجعل من الحياة شيئاً له معنى ويقوم الذكاء بتوجيهه كلما أمكن ذلك.

والفلسفة لم تعد مجموعة الحقائق الوضعية وحسب كالتاريخ أو القانون أو الطبيعة، بل أصبحت نشاطاً يهدف إلى النقد والتصحيح، ولذلك تدخل في كافة مجالات المعرفة (٣: ص١٦). في حين أن صورة المعلم القديم اتسمت بالثبات، أي عالم مغلق تكون تغيراته قليلة.

والفلسفة هي المعرفة بالحقائق المطلقة، أي الحقيقة الأبدية التي لا تتغير مهما تغير الزمان والمكان (٢٥: ص٤٢).

وقد عرفت بأنها أداة الضمائر وآلة الخواطر ونتاج العقل وأداة لمعرفة الأجناس والعناصر وعلم الأرض والجواهر وعلم الأشخاص والصور واختلاف الأخلاق والطباع والسجايا والغرائز (٢٦: ص٨٢).

ولذلك تختلف الفلسفة بمفهومها باختلاف النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، فمفهوم الفلسفة في النظام الديمقراطي مختلف عن المفهوم الرأسمالي، وكذلك يحدث الاختلاف في الحياة الاجتماعية والدينية وهذا ينعكس على فكر المفكر وفلسفته وقيل إن كل مفكر ما هو إلا نتاج العصر الذي عاش فيه وترتبط حياته بالإحداث الكبرى التي جرت في عصره، وتتباين مكانته في التاريخ حسب الدور الذي يطلع به في توجيه الأحداث بما يخدم وطنه وأمته (١٨: ص٩١).

يقول الكندي:(ينبغي لنا أن لا نستحي من استحسان الحق واقتناءه من أين أتى ؟ وان أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المتباينة لنا فانه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق وليس ينبغي ببخس الحق ولا تصغير قائله ولا بالآتي به (١٩:ص٢١٠).

وقد يرى الكثير من المفكرين والفلاسفة أن لا تقتصر العملية التعليمية على حجرات المدرسة بل عن طريق الرحلات والزيارات ومشاهدة المظاهر الأثرية (٢١:ص٩٦).

فقد يلتقي العرب في وطنهم بخصائص عديدة يمكن الاستفادة منها في بناء فلسفة عربية تتلاءم مع متطلبات العصر وبما تمتاز به الأمة العربية من خصائص متشابهة ومن هذه الخصائص:

١ـ اللغة العربية:

يتحدث نسبة عالية جداً من أبناء هذه الأمة باللغة العربية، وان كانت لغة عامية دارجة في اغلب الأحيان، ولكن تنهض إلى جانبها لغة عربية فصحى، ولا سيما في التعامل الرسمي في المؤسسات الحكومية، ومع ذلك فان هذه اللغة تعد رابطة أساسية من الروابط التي تسهم في بناء مثل تلك الفلسفة.

لقد عّد البسام اللغة العربية أداة لتطوير الشخصية الإنسانية وإغناء الثقافة القومية وهي في نفس الوقت كونها أداة للتعلم وهي تقوي التماسك الاجتماعي وهي أداة لتربية الأبناء على الرغم من تعدد الثقافات والتفاوت في عدد السكان واتساع المساحات.

وهي خاصية إنسانية أصلية يمتاز بها الإنسان من دون سائر المخلوقات، وامتاز بدلالة العقل والكلام.

واللغة هي أداة التفكير الرئيسة التي تحدد فيها المفاهيم والمعاني المجردة ويمكن للإنسان اكتساب أية لغة من اللغات معتمداً على الوسط الذي يعيش فيه وبذلك تعد اللغة فكراً ووجداناً وإرادة تتجلى في مهارات وهي تنمو مترابطة مع النمو العقلي ولقد شرف القرآن الكريم العربية بنزول القرآن الكريم بها: { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }(يوسف/٢) (١:ص٤٢٠٢٨).

٢ـ القومية العربية:

إن القومية العربية هي رابطة مهمة من روابط هذه الأمة فكل أبناء الأمة العربية مترابطون بهذه القومية فهم أبناء عمومة قديمة، ولكن سيطرة الاستعمار هي التي أسهمت في دق أسفين بين هذه الدول من خلال حدود اصطنعها لتصبح حاجزاً ومانعاً من تلاقي الأشقاء، فهذا هدف من أهداف الاستعمار، ولكن رغم كل هذه القيود والموانع ما زال أبناء الأمة يشعرون بأهمية هذه الرابطة في شد بعضهم إلى بعض (٥: ص ٢٨).

لقد امن الجمالي بالعربية إيماناً مطلقاً وبتراثها وقيمها وتمسك بالوحدة لان في تفريقهم ضعفاً ولا حياة لهم مع الخلاف والشقاق، ولذلك يعد الازدواج الفكري والاتصال بالغرب المتقدم هما من مواطن الضعف والتي تؤثر على المكونات الأساسية للشخصية العربية والقومية (٣٣: ص ٣٠٨).

٣ـ الدين الإسلامي:

إن الغالبية العظمى من أبناء الأمة العربية يؤمنون بالدين الإسلامي إيماناً مطلقاً، وهم ينظرون إليه على انه النظام الذي يفرض تعاليمه ونظمه عليهم، وليس لهم إلا الالتزام بها، فأفكاره ملزمة لهم، وهو بكل ذلك رابط يشد بعضهم إلى بعض بعد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم).

فالقرآن الكريم يعد الإنسان وحدة واحدة مكونة من مادة وروح فقد قال عز من قائل: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } (ص/٧١-٧٢).

فالإنسان كائن بيولوجي وروحي فاتحاد هذان الجانبان يولد عند الأفراد نظاماً اجتماعياً متجهاً نحو الخير والحق والرحمة، وحياة الإنسان فردية كانت أم جماعية فإنها تكون ثمرة التفاعل بين الجانب البيولوجي والجانب الروحي للإنسان فقد قال تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً } (الإسراء/٧٠).

لقد حظي الإنسان بالنعم والفرص في هذه الحياة وعليه أن يعمل جاهداً لاستغلالها، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى الإنسان بقوله:{ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً } (لقمان/٢٠) وقوله تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (الملك/١٥) وقوله تعالى:{ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ } (التوبة/١٠٥).

٤ـ الديمقراطية:

تعد الشعوب العربية من دعاة الديمقراطية، ولذلك قدمت قوافل الشهداء في كل بلد من البلدان العربية من اجل طرد المستعمر وتحرير الأرض من سيطرة المستعمرين، فهي تحب أن تحكم شعوبها بنفسها. وهي لازالت تناضل من اجل إخراج المحتلين الغازين من تلك الشعوب والبلدان.

فقد كان الجمالي يؤكد على مبدأ المساواة لجميع المواطنين في الحقوق والواجبات وتكافؤ الفرص وتقدير كرامة الإنسان واحترامها وتنظيم المجتمع تنظيماً مستنداً إلى إرادة الجماهير والاعتماد على الشورى في ممارسة السياسة والإدارة وان تطبق الديمقراطية في المجالات كافة، لتكون تعبيراً عن طموح الشعوب لنيل حقوقها وتحسين مستوياتها ومشاركتها في تنظيم شؤونها وهذا يتخذ من التربية وسيلة فعالة للتنشئة على الديمقراطية أسلوباً في الحياة والتمتع بحرية التفكير والتعبير.

٥ـ التاريخ المشترك:

إن للأمة العربية تاريخ مشترك من خلال ما واجهته من أحداث ووقائع. وكانت الأمة العربية لا تحدها حدود لكن الاستعمار بعد سيطرته عليها قام بتقسيمها فاوجد الحدود والموانع وبذلك غير رسم الخارطة العربية. وبث الأفكار الثقافية والتربوية والاقتصادية واللغوية التي تناسبه وتخدم مصالحه الخاصة. ولكن البلاد العربية حصلت على استقلالها من سيطرة الاستعمار لكن آثاره وبصماته السلبية تركت آثارها في المجالات التربوية والاقتصادية والثقافية.

ولذلك يعد التراث العربي الإسلامي هو نتاج الثقافة العربية الإسلامية الفكري وهو رحم الأمة العربية وأصالتها وإنسانيتها ومواجهتها للتحديات الكبرى كونها وحدة قائمة على التنوع والتكامل بين أجزائها وفيه تتجسد شخصية الأمة ويستلهم أبناؤها الوعي والإيمان.

إن الأمة التي تحمل رسالة حيه على مدى التاريخ يشرق من أعماقها دعاة وكتاب ونوابغ يحددون فكرها ويدفعونها إلى الأمام فهي تصنع هؤلاء الأعلام الذين يصنعون التاريخ ويصححون المفاهيم ويجددون وجه الحياة ويدفعون عجلتها إلى الأمام دفعة قوية متماسكة (٢٢:ص ٢٠٨).

لقد تأثرت بعض أنظمة التعليم في البلدان العربية وخصوصاً بالمناهج والكتب والمفكرين الغربيين، فأضاعوا اللغة العربية وتأثروا بلغة المستعمرين وهذا ما حدث في الجزائر وبلدان المغرب العربي.

فالسبيل الأمثل إلى الوحدة العربية هو البحث عن فلسفة عربية كي تحافظ على اللغة العربية والتراث العربي الإسلامي والتصدي للهجمة الأمريكية والتحدي الصهيوني بكل أشكاله كالعولمة ومحاربة الإرهاب وثورة الاتصالات، والتدخل المباشر وغير المباشر في شؤون البلدان وفرض الحصار بكل أشكاله على الدول التي تراها تشكل خطراً على مصالحها وتعارض سياساتها من السيطرة على العالم. وعليه لابد من تقارب الفكر التربوي في البلدان العربية وقطع الطريق والوقوف صفاً واحداً في وجه هذه التحديات والهجمات الغربية (٦:ص٥٦).

من هنا تتجلى أهمية البحث الحالي الذي يتوصل إلى فلسفة عربية مقترحة تتلاءم مع الأرض العربية وتطلعات الجماهير العربية في ضوء البناء الحضاري لتراث الأمة وحضارتها العريقة التي امتدت لعدة قرون سابقة مبنية على الدين الإسلامي لتكون فلسفة عربية إسلامية مستندة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال السلف الصالح، من اجل جمع شمل أبناء الأمة العربية وتمسكهم بتراث أجدادهم والإفادة من الحاضر ونبذ التخلف والفقر ورفد المكتبة العربية والوطنية لحاجتها الماسة لمثل هذه الدراسات لتبصير القارئ العربي وتنويره بما حدث وسيحدث في هذه البلدان.

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي على التعرف على المبادئ والأسس التي نادى بها محمد فاضل الجمالي في بناء فلسفة عربية إسلامية مقترحة.

حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي التعرف على الفلسفة العربية الإسلامية المقترحة التي قدمها محمد فاضل الجمالي لأبناء الأمة العربية.

تحديد المصطلحات:

الفلسفة: هي نظام اجتماعي يهتم بالفرد وتفكيره الإنساني إلى المدى الذي ينمي فيه هذا التفكير بإرساء مسوغات لمدى الصلاحية والتوافق التي تحضى بها أنماط معينة من التفكير، وبهذا تكون وظيفة الفيلسوف اكتشاف المبادئ والقواعد التي يستخدمها الأفراد في حياتهم الواقعية، وفي المدى الذي تبدو فيه هذه المبادئ مختلفة، فان الفيلسوف يعنى بوصف المتغيرات ثم يتجاوز هذه الناحية إلى مجال الفحص والاختبار للمبادئ المستخدمة وتقدير مدى صحتها (٤:ص٩٥).

فلسفة التربية: تصور شامل ومتكامل للعملية التربوية مبني على مجموعة من المفاهيم والمبادئ والافتراضات التي تساعد على فحص وتفسير وتوجيه العلاقات والتفاعلات بين كافة جوانب وعناصر العملية التربوية وماهية التربية وأهدافها والعملية التربوية والمعلم والطالب والمنهج والبيئة الخاصة بالتعليم وعملية التعلم (٢٨:ص١١٦).

الفكر التربوي:

يعرفه سعيد إسماعيل: على انه صورة من صور الفكر على وجه العموم وهو حصيلة لحركة المجتمع في بنيته الأساسية، وإفرازها على صفحات تصور ظروفه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وتشكيل اتجاهاته ومساراته بما تتخذه هذه الظروف والمسارات والاتجاهات (٢٩: ص ٥).

ويعرفه الزهيري: بأنه الإنتاج الفكري الذي أفرزته كتابات أو مقالات أو آراء المفكرين في المجالات التربوية (٢٣: ص ٣٠).

ويعرفه سعد مرسي: بأنه سجل للأفكار في زمن ما ومكان ما قد عبر عن نفسه في تعاليم وكتابات ولدتها عقول اتسمت بالاتزان والحكمة والعقلانية في إطار من التأمل والنظر ابتغاء وجه الحق والخير والعدل والجمال (٣١:ص ١٩).

حياته ونشأته:

ولد محمد فاضل الجمالي عام ١٩٠٣ م في بغداد منطقة الكاظمية ويعود نسبه إلى بني (شيبة) وهي قبيلة من أشراف العرب الذين ضربوا في ارض الحجاز عميقاَ، وكان لهم الأمر والإشراف على الكعبة قديماً، وقد نزح احد أجدادهم إلى العراق وسكن بغداد في منطقة الكاظمية عام ١٠٢١ هـ، وقد تولى جدهم جمال الدين بن ملا محمد الإشراف على مرقد أبي يوسف احد أئمة الحنفية الكبار بأمر من الوالي العثماني، أما والده محمد فهو ابن الشيخ عباس بن محمد بن جواد بن مهدي بن عبد الله بن كاظم عبد الرحمن جمال الدين واليه يرجع لقب الأسرة.

تلقى العلوم الأولى على يد والده ومن ثم درس أوليات المادة في مدرسة الإمام الخالصي وتفقه بأخلاق العربية والدين، وكان من تلاميذ حلقته العلمية (محمد مهدي كبه، وسلمان الصفواني) وهما من أقطاب القومية العربية.

حصل على الشهادة العليا (الدكتوراه في فلسفة التربية) من جامعة كولومبيا عام ١٩٣٢ م، حكم عليه بالإعدام في ثورة ١٩٥٨ م ولكن أطلق سراحه عام ١٩٦١ م، عاش في تونس وتوفي فيها عام ١٩٩٧ م.

كان يرغب التحالف مع الغرب لاعتقاده سيوصلهم إلى إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية، وقضايا المغرب العربي. وكان يعترض على كل القرارات التي تصدر من دول أمريكا أو بريطانيا أو فرنسا والتي تمس القضايا العربية، تحت مقولته المشهورة (صديقك من صدقك لا من صدقك).

طالب العراق أن يقاطع الاتحاد السوفيتي وان لا يقف على الحياد منه لكونه من مد إسرائيل بالسلاح عام ١٩٤٨ م.

لقد لقب بألقاب عديدة منها:

(ممثل السياسة الغربية في الدولة العراقية، المفكر المصلح، اللبرالي الأول في العهد الملكي، صوفي الساسة العرب، ممثل أو مندوب الديمقراطية الغربية في الشرق الأوسط). كان بعيداً عن الطائفية ويشجع الزواج بين مختلف الطوائف، فقد تزوج من أجنبية مسيحية الديانة.

كان قومياً وأممي الرؤى، عناوين كتاباته تغزو الصحف (كيف نحدث العراق حضارياً).

كان حريصاً على نشر معتقداته وكان معلماً إذا غص مجلسه بتلاميذه، أما إذا كان مجلسه يغص بالخصوم فيكون أسلوبه قرآنياً يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، وكان يضرب الأمثال ويتلو الشعر ويستعين بآراء الفلاسفة والمفكرين. ومن أقواله:(لا تحارب في سبيل العدالة بروح الكراهية، جاهد في سبيل العدالة دون مرارة، ليس منا من دعا إلى عصبية، لسان الضاد يجمعنا، المايسوقه مرضعة ضرب العصا ما ينفعه)، لمثل هذا الرجل التربوي خصوم ينافسونه على الناصب والحصول على الجاه منهم في المجال التربوي أو السياسي:

. توفيق السويدي / احد رؤساء الوزارة.

. ساطع الحصري / اختلاف منهجي تربوي بين الحديث والقديم، فالحصري يؤكد على القديم، والجمالي يؤكد على الحديث.

. نوري السعيد /الصراع بسبب الانتماء إلى مدرستين مختلفتين في السياسة العراقية فالسعيد يؤيد الخط البريطاني والجمالي يؤكد الخط الأمريكي وكلاهما على خطأ.

.كامل الجادرجي / لكونه يعد الجمالي منظر لحلف بغداد عام ١٩٥٤ م.

انجازاته العلمية والسياسية:

هناك الكثير من الانجازات العلمية والسياسية والوظائف التي تقلدها في أثناء حياته العملية منها:

١ . وضع الأسس الحديثة للسياسة الخارجية للعراق.

٢ـ سميت نهضته التعليمية بالثورة التعليمية لأنه أول من أسهم في نشر المدارس الابتدائية في المدن والريف العراقي عام ١٩٣٥ م.

٣. أول من أرسل خريجي الدراسة الإعدادية خارج العراق من اجل الدراسة.

٤ـ أسس المجمع العلمي العراقي عام ١٩٤٧م مع ثلاثة من رفاقه (الشيخ محمد رضا الشبيبي، السيد هاشم عقراوي، د.متي عقراوي) ثم أضيف لهم وزير التربية توفيق وهبي.

٥. ساهم في معادلة الشهادة الإعدادية العراقية بالمدارس الأوربية.

٦ـ أسس نادي المثني مع اثنين من زملائه (محمد مهدي كبه، صائب شوكت) عام ١٩٣٥م ويعد هذا النادي بمثابة مولد التيار القومي في العراق.

٧ـ أسس أول اتحاد للأدباء العراقيين عام ١٩٣٤ م باسم نادي القلم العراقي، ومن أعضاءه (علي الشرقاوي، باقر الشبيبي، وعبد المسيح وزير، وأمت السعيد).

٨. شارك بصياغة وثيقة تأسيس الأمم المتحدة ووقع عليها عام/١٩٤٥.

٩ـ شارك في تهذيب وعضوية منظمة حركة التسلح الخلقي في سويسرا تحت شعار (قاتل الخطأ وأحب الناس).

١٠. شهد ميلاد الجامعة العربية.

١١. شهد نكبة فلسطين ونشوة الثورات العربية.

١٢. تولى حقيبة الخارجية في الأربعينات من القرن الماضي.

١٣.كان رئيس جماعة العروة الوثقى في الجامعة الأمريكية في بيروت في العشرينات من القرن الماضي.

١٤. شغل منصب رئيس اتحاد الطلبة العرب في نيويورك في الثلاثينات.

١٥. مثل العراق برئاسة الوفد لاجتماعات الجامعة العربية.

١٦.كان رئيس وفد العراق في الأمم المتحدة.

١٧. تولى حقيبة وزارة الخارجية ثمانية مرات.

١٨ . تولى حقيبة رئيس مجلس النواب مرتين.

١٩ . تولى حقيبة رئيس الوزراء مرتين.

آراء محمد فاضل الجمالي الفلسفية:

يرى محمد فاضل الجمالي إن العرب ما زالوا يبحثون عن فلسفه حياتية توحدهم وتهديهم سواء السبيل. فقد اتخذ منهم اليسار المتطرف منهجاً وآخرون تمسكوا بالمفاهيم الرجعية البالية منهجاً آخر وفريق ثالث وقف مابين هذا وذاك، ولذلك فان انعكاسات هذه الاختلافات تنعكس على مستوى مدارسنا الضعيف في النواحي الأخلاقية والروحية، وبما إن أوضاع البلد الاجتماعية غير مستقرة فقد تمسك البعض بمبادئ متطرفة أو بأخرى

تصلح لبيئتنا ولا تنسجم مع ديننا الحنيف وكتابنا العظيم إنما هي تقليد أعمى. ومن الآراء الفلسفية التي طرحها الجمالي هي:

الطبيعة الإنسانية:

لقد عد القرآن الكريم أفضل كتاب في فلسفة التربية والتعليم، ولذلك يقول الجمالي: (لقد قرأ كثير منا القرآن الكريم أيام الدراسة وقد ختمه بعضنا ولكن بدون فهم كاف لمعانيه، والقرآن الكريم هو الكنز العظيم من الثقافة الإنسانية، فهو كتاب التربية والتهذيب، وكتاب التربية الاجتماعية والأخلاقية والروحية) (٧: ص ١٠).

المادة والروح:

لقد رفض الجمالي الفلسفات المادية التي تعنى بالمادة دون الروح والتي تدعوا إلى الحياة الروحية وتهمل الحياة الدنيوية لأنها تفقد قيمتها في التمتع بطيبات الدنيا.

قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} (الإسراء/٨٥).

فالإنسان ليس بالكيان المادي المكون من فيزياء وكيمياء وسلوك آلي ميكانيكي، كما ينظر إليه الفلاسفة الماديون، ولا هو بالروح المجردة عن المادة، فالإنسان في القرآن الكريم مكون من مادة وروح معاً والاثنان مرتبطان متفاعلان، فقد اختلف الإنسان عن المخلوقات جميعاً كونه المخلوق الأسمى وأنصف بالعقل والعلم. قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } (البقرة/٣٠).

أن هذه المنزلة الخاصة بالإنسان تحمله مسؤولية إعمار الأرض وحسن التصرف في الخليقة، فالإنسان قد حظي بالنعم والفرص في هذه الحياة، وعليه أن يعمل جاهداً لاستغلالها، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى الإنسان بقوله:{ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً } (لقمان/٢٠). وكذلك { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (الملك/١٥) وقوله أيضاً { وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } (الأعراف/١٠) وقوله تعالى { وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ } (التوبة/١٠٥).

الكون:

لقد أكد الجمالي على أن الكون مؤسس على الحق والقانون والحكمة السامية، وان لهذا نظاماً مقرراً وهو ليس مخلوقا اعتباطياً ولم يخلق عبثاً، وعلى الإنسان أن يتأمل ويدرس محتويات هذا الكون وان يتوصل إلى إدراك العلاقات بين أجزائه قال تعالى: { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } (القمر/٤٩)، وان كل ما في الوجود يتغير باستثناء خالق الوجود فالكون حادث وهو في تطو مستمر وهذه الحياة الدنيا تعقبها حياة أخرى هي دار القرار، فالمطلوب من التربية أن تحسب حساب التطور والتغير في الوجود وتتوقع الطوارئ وما ليس بالحسبان، إن علينا أن نعني بالحياة الدنيا والآخرة (فان ما تزرعه اليوم تحصده غداً) أي تعمل بالقول المأثور (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً).

العقل:

لقد عدّ العقل من مميزات الإنسان التي امتاز بها عن المخلوقات الأخرى وهي زينة الإنسان، والجمالي يدعو إلى استعمال العقل والبصيرة، وعدم تقليد الآباء والأجداد إذا كانت أفكارهم خاطئة وجامدة ولذلك على الفرد أن يستخدم عقله في حل مشكلاته مع نفسه والآخرين، ولذلك يحاسب الله سبحانه وتعالى الإنسان على أعماله التي تضر بنفسه والآخرين ويجازيه على التي تفيد نفسه والآخرين، قال تعالى: { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ } (الزلزلة/٧-٨).

وبما إن للإنسان عقل فلا بد من اكتشاف قابليات الأفراد ومساعدتهم وتوجيههم للإبداع والابتكار، فقد نبغ العديد من أبناء الأمة العربية في أثناء دراستهم في الدول الغربية مثل (حسن كامل الصباح) شاب من جنوب لبنان الذي برز في الكهرباء واستخدمته شركة جنرال إلكتريك في الولايات المتحدة الأمريكية والذي اخترع أكثر من ثلاثين اختراعاً في الكهرباء، وكذلك الجراح الشهير في جراحة القلب الدكتور (دبكي) وهو لبناني الأصل، وكذلك (اسعد نيازي) العراقي الجنسية الذي يعد من الأطباء الأوائل لتشخيص مرض السرطان، علاوة على الفنانين والشعراء والأدباء (٨: ص١٩١.١٩).

الأخلاق:

أكد الجمالي على الأخلاق الفاضلة وعدها أساس العلم الصحيح والعمل الصالح، فالإيمان مثلاً بوجود الله والملائكة والكتب المنزلة والرسل واليوم الآخر، والإيمان هو التصديق بالقلب، فقد يكون الإنسان مسلماً ولكن غير مؤمن بالضرورة كقوله تعالى: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (الحجرات/١٤). وتحدث عن الأخلاق بقوله: (إن حياة الأمة ونجاحها إنما تعتمد بالدرجة الأولى على سلامة أخلاقها، فالأسرة المتماسكة هي التي تجنب أطفالها المعاصي وتربيهم تربية صحيحة متكاملة وتغرس الأخلاق الفاضلة والمثل العليا في نفوسهم، فالأخلاق ضرورية للصحة وسلامة الجسدية الطفل عن طريق أولياء أموره يتعلم آداب التحية والإيثار وعدم الاعتداء على حقوق الآخرين ويتعلم أيضاً حب الأمة والوطن والإخلاص باعتزاز بمقومات شخصية الأمة والدين واللغة والتراث وتقديس العلم وحب العمل المنتج والأمانة ومراعاة حقوق الغير، وممارسة اللعب الحر وتعليمه قواعد اللعب وإنصاف الطرف الآخر، والغضب إزاء الغش والمحاباة، والاهتمام بالجوانب العلمية والتمتع بعجائب الخليقة وان يكون رفيقاً بالحيوان والنبات ويساهم بالعناية بها وبتكاثرها ونموها. ويجب أن تغرس في نفسية الطفل حب الخالق وشكره وحمده وان تنمى فيه العواطف الدينية واحترام المناسبات الدينية والابتهاج بها، وان يحترم القانون وان يبتعد عن القسوة والعنف خوفاً من الانزلاق في هوة الفساد وانحلال الشخصية، ويتعلم حل مشكلاته التربوية والنفسية والابتعاد عن أصدقاء السوء وقد استشهد بأبيات للشاعر معروف الرصافي حيث يقول:

هي الأخلاق تنبت كالنبات إذا سقيت بماء المكرمات

تقوم إذا تعهدها المربي على ساق الفضيلة مثمرات

وكذلك يقول:

ولم أر للخلائق من محل يهذبها كحضن الأمهات

فحضن الأم مدرسة تسامت بتربية البنين أو البنات (٨:ص١٥٧.١٦٦)

الخير والشر:

لقد وهب الله سبحانه وتعالى للإنسان العقل وعن طريقه يميز بين الخير والشر، فهو مسؤول عن أعماله وأفعاله، لذلك أكد على التربية وعلى التربويين أن يوجهوا طلبتهم إلى طريق الخير وهو طريق النجاة وإرضاء الله وإرضاء المجتمع ونفسه وقال تعالى: { أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } (البلد/٨ ١٠).

وأكد أن الطفل يولد بريئاً وخالياً من كل جريرة، وان توجيهه نحو الخير أو الشر يرجع إلى تربية المحيط الذي يعيش فيه، وهذا ما يلقى على عاتق أولياء الأمور والمربين (٩:ص٣٧).

أن التربية الإسلامية هي هداية ووقاية، هداية من الله سبحانه وتعالى لمن يطلب الهداية ويسير على الصراط المستقيم فنحن نرى أنفسنا طالبين الهداية من الله في حين نتلوا في صلاتنا { اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ } وهي وقاية للذين تضل عقولهم وتزل أقدامهم فيقعون في هوة الإثم. ولذلك فالتربية الإسلامية تشجع المسلم على طلب الهداية من الله سبحانه وتعالى وتردعه عن الشر فتؤمن له الوقاية.

الذكر والأنثى (النوع):

لقد أكد الجمالي على تعليم المرآة وان لا فرق بينها وبين الرجل، فهي مسؤولة عن تعليم الأبناء ويفضل أن تكون متعلمة لكي تبني لنا جيلاً جديداً من الأطفال أصحاء الجسم والعقل، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (الحجرات/١٣).

إن تحسين نوعية تربية الفتاة من جهة وتحرير المرأة من قيود الجهل والعبودية في البيئات المتأخرة من جهة أخرى، سوف يؤديان حتماً إلى عناية الأمهات بتربية أطفالهن تربية أفضل وبناء عائلة سعيدة.

إن ما يريده المجتمع الإسلامي الجديد هو الأم الفاضلة التي تحسن تربية أطفالها تربية صحية وخلقية وعقلية ودينية صحيحة، إن ما تعانيه بعض المجتمعات الإسلامية من عنف أو فوضى أو قلة نظافة مرجعه الرئيسي هو الأم، فالأم الفاضلة تستطيع أن تؤثر على زوجها فتوجهه إلى الخير وتستطيع التعاون معه على تربية أطفالها على اللطف والأدب وعلى النظام وحسن التدبير وعلى النظافة والعادات الصحيحة، فالأم لها الدور الأول في تكوين المواطنين الصالحين الذين تتجلى فيهم الفضائل الإسلامية، ولذلك نحتاج إلى برامج خاصة ومتطورة لإعداد هكذا أمهات وان تكون التربية مركزة في أصول تربية الطفل نظرياً وعملياً وإدارة شؤون الأسرة. فمثل ما على الذكر (الأب) الواجبات التي على عاتقه من توفير متطلبات العيش والحماية والعمل، على الأم أيضاً تهيئة المناخ الأسري المناسب لرب الأسرة بعد عودته من مشاق العمل لكي يحصل على الراحة والغذاء المريح الذي

يزيل عنه المصاعب ويشعره بدفء الأسرة ويساهم في تنشئة أطفاله تنشئة عربية إسلامية يرفد من خلاله المجتمع بمواطنين صالحين يتفانون في خدمة أمتهم ووطنهم خدمة صحيحة.

المعرفة:

أكد الجمالي على أهمية المعرفة فهي تمثل من الإنسانية مكان الرأس من الجسد، فمعرفة ادم بعلم الله سبحانه وتعالى جعله أعلى مرتبة من الملائكة ولذلك اهتم القرآن الكريم بالعلماء وعن طريق العلم نتوصل إلى معرفة الخالق والأشياء الأخرى من اجل الاستفادة منها وتسخيرها في خدمة الإنسان لكي يستثمرها وعن طريقها يتوصل إلى حقائق أخرى قال تعالى:{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }(الزمر/٩) وقال تعالى:{ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً }(طه/١١٤) وقال تعالى:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} (فاطر/٢٨) وقال المصطفى (صلى الله عليه وسلم): (لموت قبيلة أهون على الله من موت عالم).

فالمنهج القرآني هو منهج يطابق الحياة ويطابق الوجود، وهو صالح لكل زمان ومكان وينمو ويتطور مع نمو الإنسان وتطوره في الجوانب المعرفية (١٠: ص٣٦).

لقد أكد الجمالي على أهمية المعلم لكونه مربي فالمربي في نظره له مهمات أصعب من مهنة المعلم، فالمربي يعنى بالتلميذ ككل وهو الهدف والمادة الدراسية سوى وسيلة، وعليه أن يقرن القول بالفعل ويتصف بالحكمة ويكون بعيداً عن الأهواء والرغبات الشخصية ويتعامل مع تلاميذه بالعقل والتدبير وصولاً للقرار السليم. حيث جمع القرآن الكريم بين العلم والحكمة حيث قال تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (الجمعة/٢). كما أن المربي يشجع التلاميذ على الاطلاع والاستزادة من المعلومات وعدم الاقتصار على الكتاب المقرر، وان تكون المدرسة في نظره حلقة وصل بينه وبين المجتمع الذي يعيشه التلميذ، وان يكون المربي متعاوناً ومشاركاً وديمقراطياً في تعامله مع تلاميذه ويكون عادلاً مستخدماً الحق في تعامله مع كل أفراد المجتمع ويكون قادراً على ضبط الصف وإتقان المادة العلمية ويغرس المثل العليا في نفوسهم وان يتحلى بفلسفة ايجابية منفتحة على الحياة والكون تتسم بالشمول والتوحيد والرقي.

العمل الصالح:

يؤكد الجمالي إن العمل هو ثمرة الإيمان والأخلاق والعلم، إذن ما فائدة الإيمان والأخلاق والعلم إذا لم تدعم بالعمل الصالح، ولذلك فانه يلي الإيمان بالله فهو إرضاء النفس والمجتمع وخالق الكون، فالإنسان الخير هو الذي يكون مدفوعاً في انجاز عمله بشكل جيد يرضي نفسه والله سبحانه وتعالى، فعن طريق العمل يمكن قياس التربية والإيمان والأخلاق قال تعالى: { وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (التوبة/١٠٥)، وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً } (الكهف/٣٠). لقد جمعت في صورة العصر محتويات التربية القرآنية قال تعالى: { والعصر إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ } (العصر/١-٢).فقد أكدت هذه السورة على الإيمان والعمل الصالح والأخذ بالعلم وضبط النفس وهو جوهر الأخلاق.

الفرد والمجتمع:

أكد الجمالي على أهمية الإنسان بوصفه فرداً في المجتمع وعلاقته بالأفراد الآخرين وعلاقة الإنسان بالخلق وهو رب العلمين (ورب العلمين) تعني مربي العالمين أي المربي الأعظم في الكون وهو ليس مربي الإنسان وحده بل مربي المخلوقات جميعاً.

لقد كان المجتمع العربي في زمن الاحتلال يعاني من مشكلات اجتماعية منها إن الشباب من الذكور والإناث يفضلون الدراسات التي توصلهم إلى الوظائف ولا يرغبون في الدراسات التي توصلهم إلى الحقول أو المختبرات فيصبح الشباب من أصحاب (الياقات البيضاء) وان تحقيق التنمية يتطلب تحقيق الأمن والسلام السياسي والاجتماعي لكن الانقلابات التي تحدث في الكثير من البلدان العربية وخصوصاً في بلدان العالم الثالث قد تعيق التطور والتقدم الاجتماعي.

الوراثة والبيئة:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان خليفته على الأرض وأمره أن يكون معتدلاً في تمتعه بالطبيعة وفي استثمارها، والطبيعة البشرية في نظر الإسلام ليست شريرة في حد ذاتها، ولكن للبيئة والتربية تأثير كبير عليها فيمكن أن تصبح خيره أو شريرة.

أما بخصوص الجوانب الوراثية فان الطفل يولد وهو يحمل معه الكثير من السمات لكن البيئة والتربية والأسرة وتأثير المدرسة تلعب دوراً في تنمية هذه السمات والخصائص أو تحجيمها (١١:ص٢٥) حيث قال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم): (يولد الإنسان على الفطرة وأبواه ينصرانه أو يهودانه أو يمجسانه).

من هنا يعطي للجوانب البيئية المكانة الأكبر من الجوانب الوراثية، حيث أكد على أهمية الأصدقاء، وخصوصاً أصدقاء السوء حيث يقول الشاعر: (لا تربط الجرباء حول صحيحة خوفاً على تلك الصحيحة أن تجرب). فالبيئة هي المسؤولة عن سلوكيات الأفراد وهذه السلوكيات تتأثر بعوامل عديدة شخصية أو نفسية أو صحية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو دينية.

القومية:

لقد أصبحت الروح القومية قوة فعّالة في العالم الإسلامي نتيجة لاكتسابها من التربية الغربية ومن خلال التعليم، وبذلك أصبحت أداة فعالة في نشر الفكرة القومية والعمل على التحرر وتحقيق النهضة القومية (١٤:ص١٠٢).

والدين الإسلامي يعترف بالمزايا القومية للشعوب ولكن لا يفاضل بين الأقوام والشعوب إلا على أساس التقوى والخدمات التي يقدمها شعب من الشعوب للإنسانية جمعاء فهو يشجع الجوانب الايجابية في القومية ولكن يشجب الغزو القومي والعصبية الجاهلية (١١:ص٧٢).

فالفرد في المجتمع عليه مسؤولية فردية، والمجتمع مجوعة من الأفراد وهناك روابط اجتماعية لا تكون أهميتها على حساب الجماعة أو بالعكس، بل هي عملية متكاملة فمسؤولية الفرد هي بالنتيجة تؤثر سلباً أو إيجاباً على الجماعة قال تعالى: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً اقْرَأْ

كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً} (الإسراء/١٣-١٤)، وقال تعالى:{ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } (الأنعام/١٦٤).

الحرية:

أكد على احترام حرية الآخرين في أثناء اختيار فكرهم وعقائدهم وان لا يجبروا على اعتناق عقيدة معينة بالإكراه قال تعالى:{ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} (البقرة/٢٥٦)، وقال تعالى:{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ } (يونس/١٠٨).

كما أكد على حرية العقيدة قال تعالى:{ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ } (الغاشية/٢١-٢٢). وكذلك التأكيد على حرية البحث والرأي وحرية الطالب في اختيار الدروس التي يرغب دراستها وبالسرعة التي تناسبه { لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا }.

الديمقراطية:

تطرق الجمالي إلى أن هناك مجموعة من المبادئ الأساسية التي تتكون منها الديمقراطية فأكد على مبادئ الوحدة الوطنية المساواة والإخاء والتعاون والمشاورة في الرأي (٩:ص١٥). كما انه شجب الدكتاتورية والتسلطية، بل عد الفلسفة العربية الإسلامية هي في منتهى الديمقراطية، بل هي مبادئ اشتراكية إصلاحية إنسانية من اجل خدمة الإنسان قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } (الحجرات/١٠). وقال تعالى: { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ }(الأنبياء/٩٢).

أهمية التربية والتعليم من خلال القرآن الكريم:

تحدث الجمالي عن أهمية التربية والتعليم وعدها مساوية للجهاد في سبيل الله، فقد أكد على دراسة القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم) واعدها ثروة علمية عظيمة، ترفع من شان العلم والعلماء وقد تمتع رجالات العلم والحكمة بمقام رفيع في الإسلام والسعي وراء الحقيقة والتوصية بالأخذ بها، وهي من واجبات كل مسلم (التواصي بالحق). فقد اشتهرت بغداد في العراق وقرطبة في الأندلس كقاعدتين للثقافة الإسلامية في القرون الوسطى، وكان خلفاء بغداد والأندلس يدعمون بأنفسهم هذه الحركة العلمية والفكرية الجديدة، فقد كان الخليفة المأمون ابن الخليفة هارون الرشيد هو نفسه فيلسوفاً وعالماً وكان يترأس ما ندعوه اليوم بالمجمع العلمي الذي يضم العلماء والحكماء (١١:ص٧٢).

وبسبب الحروب الداخلية وغزو المغول لبغداد وإغراقهم كتب مكتباتها في نهر دجلة توقف التقدم العلمي، لكن العرب استيقظوا على أصوات المدافع لاحتلال بلدهم.

وفي ظل الاحتلال والاستعمار لم يحصل أبناء البلاد على الثقافة الغربية إلا بالقدر القليل النادر، وذلك بسبب فتحها العدد القليل جداً من المدارس من اجل الحصول على الموظفين.

بعد ذلك بدأت الروح القومية تنهض من جديد في البلاد العربية، والمهم من هذا إن التعليم والتربية الغربية أصبحتا أداة فعّاله لنشر الفكر القومي والعمل على تحرير وتحقيق النهضة القومية. كما ساهمت دراسة بعض

الطلبة العرب في الخارج على نشر الوعي القومي، بل أصبحت هناك صيحات مدوية من اجل الحاجة إلى المدارس والتجهيزات التعليمية وكذلك المطالبة بالتعليم المهني التقني بالتعليم الثانوي العلمي وفتح الجامعات. وكذلك كانت هناك أهداف جديدة للتربية منها:

النهوض السريع بالبلاد التي تنال استقلالها راغبةً اللحاق بالغرب، ولكن بالرغم مما قدمته الثقافة الغربية للعرب لكنها تحمل في طياتها جراثيم التفسخ الاجتماعي والأخلاقي والروحي للعالم وهناك بعض المشاكل الناجمة عن الاقتباس الخاطئ للتربية الغربية وهي:

١. أن اقتباس التربية الغربية بدون ربط كاف قد يسبب فقدان الوحدة والانسجام الثقافي بين أبناء الشعب الواحد.
٢. التربية الغربية التي تقوم مدارس المجتمع بتطبيقاتها تهمل اللغة العربية.
٣. التربية الغربية قد تعطي الشهادة دون اهتمامها بالضبط العلمي.
٤. تؤكد التربية الغربية على عملية الحفظ دون التفكير والبحث.
٥. قد يتكبر ويتعالى من درس الثقافة الغربية، ويعد نفسه أفضل من غيره من أبناء الوطن.
٦. اهتمت التربية الغربية بالجوانب الأكاديمية دون العلمية والتقنية.
٧. التربية الغربية قد تبعد أبناء الوطن عن دينهم وأمتهم.

كما اكتشف الجمالي بان هناك عللاً في الفلسفات الغربية قد تأصلت فيها ومن هذه العلل:

١. أن نظم التعليم الغربية مبنية على فلسفات ثنائية أي تفصل مثلاً الدين عن الدولة، والروح عن الجسد، والفرد عن الجماعة، في حين إن الفلسفة الإسلامية مترابطة فلا انفصال بين الروح والجسد ولا بين الفرد والجماعة.
٢. إن التربية الغربية تفتقد إلى الانسجام بين نواحي الوجود، صحيح إن التربية الغربية أنجبت عظماء، ولكن كل منهم في اختصاصه، وكذلك ليس له اتجاه نحو الأخلاق و تربية الفكر لا تسير إلى جانب الأخلاق. ولذلك حدث فقدان الانسجام بين المتطلبات الزمنية للإنسان والمتطلبات الخلقية والروحية قد تنتقل إلى عالمنا العربي الإسلامي.
٣. فقدان الوحدة والانسجام في التربية قد يؤدي إلى الانحراف في معالجة بعض الأمور على حساب أمور أخرى، لكن وجود الانسجام والتحديد قد يؤدي إلى التفكير المعقول المتزن وضبط النفس.
٤. نرى إن بعض أنظمة التعليم الغربي قد أنجبت مفكرين متعصبين لا يمارسون التسامح والاعتدال أو متطرفين في التراخي واللامبالاة الأخلاقية، وهذا غير موجود في مجتمعنا، ولذلك قد يتعرض الفرد العربي المسلم إلى الانحدار في مثل هذه المجتمعات فيختل توازنه وينحدر في الهاوية.
٥. قد لا تميز الأنظمة الغربية بين الغاية والوسيلة أحياناً، ولذلك قد تأخذ من الوسيلة غاية في حد ذاتها، لكن متى ما تحققت تصبح وسيلة لغاية جديدة (١١:ص٨٢).

تطور الفكر التربوي الإسلامي:

لقد جاء الإسلام هادياً ومربياً للناس يهديهم إلى الإيمان بالله يهذب أخلاقهم، ويحضهم على طلب العلم، يحملهم على العمل الصالح وقد عمل المسلمون الأوائل على نشر العقيدة والفضيلة في كل مكان حلّو فيه فوجهوا الإنسان نحو العمل والحياة الكريمة في الدنيا والآخرة.

وقد أكدت التربية الإسلامية في صدر الإسلام على حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف، وأكدت على تعليم الفرائض وممارستها والتحلي بالفضائل الإنسانية عن طريق الاقتداء بالرسول العظيم محمد (صلى الله عليه وسلم) وسيرة الصحابة الكرام، حيث كان المنهج التربوي حياً والأسلوب تربوي علمي وواقعي وقابلاً للتطبيق.

بعد ذلك جاء عصر الفتوحات الإسلامية (عصر الازدهار) واتصل المسلمون بالحضارات السائدة آنذاك (كاليونانية . الفارسية . الهندية . السريانية) فاستفادوا من فلسفاتهم وعلومهم وصناعاتهم وفنونهم وأفادوهم بما يمتلكه العرب المسلمون من تعاليم دينهم الحنيف، وقد شجع الخلفاء على نقل هذه الثقافات وترجمتها إلى العربية وخصوصاً علوم اللغة والحديث والفقه والكلام ولذلك نبغ رجال ونساء في هذه المجالات وكذلك في الفلسفة والتاريخ وقد برع في الفكر التربوي والفلسفة مربون كثيرون أمثال (ابن سينا، الفارابي، الغزالي، الجاحظ، ابن خلدون، إخوان الصفا، ابن سحنون، القابسي، الزمخشري) وغيرهم، وقد تميزت هذه الحقبة بمميزات متعددة منها:

إن الطالب يحق له أن يدرس اختصاصات متعددة ويكون موسوعياً فقد يصبح طبيباً وفيلسوفاً وأديباً وعالماً دينياً في الوقت ذاته.

كما امتازت هذه الحقبة بكون هدف التربية دينياً ولا فصل بين الدين والعلم، كما كان الاجتهاد مفتوحاً وحرية الرأي والبحث مفتوحة ومحترمة. وكان الطالب يطلب العلم من اجل العلم والحصول على الأجر من الله دون النظر إلى الوظيفة أو المنفعة الشخصية أو الجاه. ويحق للطالب أن يختار الدروس التي يرغب دراستها، والأستاذ الذي يتعلم على يده واختيار الرفاق الذين يرغب بمصاحبتهم في أثناء الدراسة.

كانت الدراسة غير مقيده بزمن محدد أو امتحانات معقدة ولكن متى ما استطاع الطالب إكمال علمه تخرج وهو يسير بالسرعة التي تناسبه دراسياً.

المسؤول عن الإجازة هو العلم، وعلى الطالب أن يدرس مادة واحدة أو مادتين فيتقنها ليتمكن من تدريس غيره، كما شجع الطالب على السفر إلى مراكز العلوم الشهيرة واخذ العلوم على يد علمائها ومفكريها وفلاسفتها مباشرةً.

ثم جاء عصر الركود والتنازع على الملك فتفرق المسلمون إلى مذاهب وطوائف وخيم الاستبداد في الحكم وأصبح من الأمور المألوفة فحجم وتحجر الفكر التربوي وأصبح الحفظ ببغائي، ودب التعصب المذهبي، وسد باب الاجتهاد، وأصبحت دور العلم تعنى بالقضايا الفرعية الجدلية المذهبية على حساب القضايا الكبرى التي عليها يتوقف تقدم البلاد ورقي الأمة، فلم يعنى بصناعة الآلات ولا بالعلوم الطبيعية والحياتية، وزادت المجادلات والمبالغات، وكان التعليم يقتصر على حفظ القرآن الكريم دون تدبر معانيه وتعليم الفرائض

وممارستها، لكن الإيمان بالله ومخافته يعدان العاملان الأساسيان في الضبط الأخلاقي والمحافظة على الذاتية الإسلامية التي أعدت عاملاً جوهرياً في بقاء الأمة ومحاربة الاستعمار.

العالم الغربي استغل هذه الفرصة محاولاً الاستيلاء على الأقطار الإسلامية تدريجياً، وبذلك بدأ العديد من المفكرين والمصلحين العرب والمسلمين الدعوى إلى اقتباس نظم وبرامج تعليمية من الغرب تتضمن للعالم الإسلامي النهوض على أسس علمية إسلامية حديثة، فأنشئت المدارس الحديثة وأرسل العديد من الطلبة إلى الغرب لتزود بالعلوم الحديثة، لكن الانقسامات الداخلية وفساد المجتمع أدى إلى جمود الفكر التربوي وأسيئ فهم القول المأثور (النجاة في الإتباع والهلاك في الابتداع)، وبذلك أحجم الكثير عن قول الجديد حتى ولو كان صالحاً مفيداً، لقد مهدت هذه الفترة للاستعمار السيطرة والاستيلاء على معظم الأقطار الإسلامية، ثم جاء المستعمر ولم يهتم إلا بما يخدم مصالحه وأهدافه التي جاء من اجلها فلم يعطي الجانب التربوي أهمية لكن الذي أعدهم المستعمر إلا ليكونوا موظفين في جهاز الحكومة كالكتبة والمترجمين والمعلمين والمحامين والأطباء، أما في مجال العلوم الطبيعية والهندسية والتقنية فقد كانت نادرة، لكن المستعمرين شجعوا المبشرين أو الجمعيات الدينية أو السياسية الغربية من تأسيس عدد من المدارس في هذه البلدان، لكن المفكرين ورجالات التربية بدأوا يقاومون الاستعمار حتى جاءت الحرب العالمية الثانية لتكون فرصة لتحرير معظم البلدان.

بعد تحرير الكثير من البلاد العربية والإسلامية من السيطرة الاستعمارية بدأت تقتبس الكثير من الغرب كالبرامج التعليمية وأنظمته التربوية بعد إجراء بعض التحويرات لكي تتكيف مع بيئة ذلك المجتمع، ولذلك وقعت الكثير من البلدان بمنزلقات عديدة نتيجة عدم حسابها بالدقة والموضوعية لأهداف المجتمع وبيئته المجتمعية، ومن الأسباب التي أدت إلى حدوث الأخطاء والهفوات:

تقليد النظم الغربية حرفياً دون اخذ اللب والجوهر. فيأخذ ما يقوله الباحث الغربي ويحفظ دون مناقشته وكأنه حقائق منزله. كما اهتموا بالدراسات النظرية دون العلمية، وكان الاعتماد على الحفظ والتلقين دون التجربة العلمية، والانفتاح الكبير على بناء المدارس واستيعاب الكثير من الأعداد دون تخصصات المدارس، فقد حددوا قوالب محددة ولم يهتموا بالقابليات والمواهب، كما إن المربين لم يكونوا بالمستوى المطلوب، وبذلك يكون أعداد الطلبة هزيلاً ضعيفاً. والمركزية المفروضة في إدارة التعليم تكبل يد المربي وعقله بينما المطلوب من المربي أن يكون قادراً على التكيف والخلق والإبداع في التدريس واتخاذ ما يراه صالحاً ومناسباً لتربية من هم بعهدته.

لم تكن هناك علاقة بين ما يدرسه الطالب والدافع الذي يعيشه ومتطلبات حياته وحاجاته اليومية. وان لا يكون هناك فصل بين الدين والعلم والدين والأخلاق والعلم والعمل (فان العلم بدون دين وبلا أخلاق وبلا عمل قد يكون عقيماً، وقد يكون ضرره أكثر من منفعته) (٨:ص١٤٠.١٤٧).

إن تضارب الفلسفات داخل المدرسة الواحدة قد تحدث فوضى فكرية فمنها من تغذي الصراعات الطبقية أو المذهبية أو الجنسية لأبناء الشعب الواحد، ومنها من يدعو إلى العنف والفوضى أو الإباحية والتحلل الخلقي، إن اعتماد الوسائل كغايات محددة لا يجعلنا أن نحقق أهداف بعيدة المدى، فيجب أن يفكر الطالب بان يحقق

غايات أسمى من سابقتها، إذن نحن بحاجة ماسة لقيادة تربوية وعلماء متخصصين في البناء الفكري التربوي ويكونوا عارفين بعمق أهمية التراث التربوي الإسلامي، وان يكونوا قادرين على إعادة النظر جذرياً في الفكر التربوي العربي الإسلامي، وان يتحلى من يتولى شؤون الأمة في أي مجال من المجالات بالتقوى والعلم والحكمة والشجاعة وان يهتموا بشؤون تربية المربين والقادة التربويين وكيفية إعداد مفكرين وعلماء متخصصين في المجالات كافة وان لا يتأثروا بالفلسفات والتيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المعاصرة وان يبرهنوا للعالم بان الدين الإسلامي هو دين الحق والخير والإخاء.

التربية المتكاملة:

إن الكثير من الطلبة والذين يرومون الحصول على المعرفة والتزود بالمعلومات الحديثة قد يشعرون بأنهم لازالوا طلاباً باحثين عن المعرفة رغم وصولهم إلى مراتب علمية متقدمة فان طلب المعرفة والعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وبما إن الشعوب والمجتمعات تتقدم فقد تتعرض إلى الكثير من المشكلات فمثلا في ليلة ١٣ /٧ /١٩٧٧ انقطع التيار الكهربائي عن مدينة نيويورك فقد أعقب ذلك عمليات النهب والسلب والتخريب مما أدى إلى خسارة تقدر بملايين الدولارات وإلقاء القبض على (٣٥٠٠) شخص من المتلبسين بالجريمة فهذه ليلة واحدة وحدث فيها ما حدث، فكيف إذا حدث الانفلات الأمني وضاع القانون والنظام وانهارت أجهزة الدولة من الجيش والشرطة والأمن ماذا يحدث ؟ وما هي الخسائر المادية، وما هو عدد المتلبسين بمثل تلك الجرائم. فالتربية إذن ماذا يمكن أن تفعله في مجتمعات العالم الثالث خلال فترات قصيرة.

إن الشخص المنصف لا بد أن لا يعد المدرسة وحدها المسؤولة عن كل ما حدث فالمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية كلها تساهم في تحمل المسؤولية، وكذلك على التربية أن تعنى بالناحية الباطنية من النفس إذا شاءت أن تخلص لمهمتها فالعناية بالشخص ظاهرياً وترك باطنه غير مهذب لا تكفي.

إن التمسك بالأنظمة التربوية القديمة فقط أو تطبيق أنظمة التربية الحديثة فقط دون الاهتمام بالأنظمة القديمة يعد تطرفاً بالمحافظة أو تطرفاً في التجديد، وعليه لا بد من الإفادة من القديم والحديث وبذلك تصبح التربية تكاملية (أصالةً وتجديداً).

والتربية ليست مرادفة للحياة المدرسية أو التعليم من الكتب، بل هي ثمرة كل الاختيارات التي يحصل عليها المرء في البيت والمدرسة والحقل وأماكن العبادة والنوادي الاجتماعية والرفقة والأصدقاء، كما علينا أن لا نجهل أهمية وسائل الإعلام بكافة أنواعها وقد تكون أهداف هذه المنظمات متعارضة مع أهداف المدرسة فقد تكون من الأسباب الهدامة لوظيفة ومهمة المدرسة.

إن المفهوم التقليدي للتربية هو التأكيد على تعلم محتويات الكتب وحفظها على حساب التعلم المنتج والتدريب العملي، لكون المدرسة قد انفصلت عن الحياة وفقدت الاتصال بعناصر الطبيعة، فقد نجد رجال فكر لم يهيئوا لممارسة الإعمال، أو قد نجد رجال إعمال يعوزهم القدر الكافي من العلم. والمجتمعات التقليدية

اهتمت بالكتب وأهملت فيها قيمة العمل اليدوي، ولذلك التحق الكثير بالمعاهد والمعاهد العالية للحصول على الشهادات رغبة في تحقيق الكمال الذاتي والحصول على الشهادة وهذا قد يؤدي إلى هبوط المستويات العلمية العالية ذات القدرات الإنتاجية، في حين أكد المفهوم الحديث للتربية على العلوم المادية والتقنيات وأهملت نسبياً الخصائص الروحية والأخلاقية ولذلك أدى ذلك إلى حدوث أزمات اجتماعية وسياسية وأخلاقية خطيرة، فقد انشطر العالم إلى أغنياء وفقراء، وأقوياء وضعفاء، وان ثروات الأرض تبعثر وقد قسمت الإنسانية حسب العنصر واللون والجنس والطائفة والإقليم واللغة. نحن لا ننكر بان قوة الإنسان الحديث وبلغه القمة في السيطرة على الطبيعة هو الثمرة المباشرة لتسلحه بالعلوم والتقنيات الحديثة ولكن قد تصبح من العوامل المؤدية إلى هلاك الإنسان إذا لم تهتد بهدى الأخلاق.

يتضح مما ذكر سلفاً لا بد من إيجاد مفهوم حديث ومتطور للتربية نابع من نظرة عميقة وشاملة للحياة بعيداً عن كل القوة والضعف والغنى والفقر واللون والجنس والطائفة الدينية والإقليمية واللغة. وعلية لا بد أن ننظر إلى الإنسان كوحدة واحدة وبترابطه يتجسد مفهوم التربية الحديثة المتطورة.

علينا أن ننظر إلى الإنسان ككائن عضوي فعّال مترابط يهتم بالأرض ظاهرها وباطنها، وعلى الإنسان أن يدرك إن كل ما على الأرض يجب أن يفهمه وان يفهم نفسه وما هي الأضرار والفوائد المتوخاة من كل شيء بشكل تكاملي. وان يستفيد من الرسائل السماوية والفلاسفة والمربين وان نستخدم العقل بكل قواه العقلية لحل مشكلاتنا وإنجاح خططنا المرسومة. ولا بد من إدراك التطور والتغيير واعتبارهما مفهومان مستمران يفضل مسايرتهما بجدية، وعليه لابد من تقديم المعونة والإرشاد للمعلم الذي يكون مساهماً ومسؤولاً في بناء الإنسان الجديد وان لا ننكر قدرات كل فرد بل اكتشافها وتنميتها لكي تتفتح وتزدهر من اجل بناء شخصيات متكاملة. والإنسان ليس جسم وفكر فحسب بل انه كائن روحي وأخلاقي، وان لا ننسى الفروق الفردية بين الأفراد بل الاهتمام بها والنهوض بكل القابليات وصولاً للإبداع والابتكار.

فالتربية هي السعي المقصود لدى الإنسان كفرد وجماعة من اجل تنمية مكانته المادية والعقلية والروحية تنمية منسجمة فيحقق بقاءه وبقاء تراثه الخالد.

إن للتربية أهداف عديدة من خلالها يحدث التكامل والانسجام في البناء التربوي وصولاً للسلامة والصحة الجسدية والعقلية للإنسان والتي من خلالها تجنبه الحوادث وأخطار الأمراض المعدية والابتعاد عن الإدمان والتدخين وتناول المخدرات والعناية الكافية بالنظافة والأكل الصحي والنوم الهادئ.

كما إن التفاهم الاجتماعي ضمن كيان أسرة متعاونة بعيدة عن الخلافات والتفكك الأسري وإهمال تربية الطفل والاستعانة بالمربيات الأجنبيات وتناول الحليب المجفف بعيداً عن حنان ودفء صدر الأم.

وبما إن اللغة العربية هي أداة فعّالة في تحقيق الاتصال الاجتماعي فلها دور في بناء الشخصية العربية تربوياً، وتحسين مستوى الفرد في أثناء الكلام والقراءة والكتابة وحسن التعامل وممارسة الديمقراطية والآداب الاجتماعية، وان يتعود ويعتمد الفرد على حب وممارسة العمل المنتج وكسب الرزق والعيش بشرف، والاهتمام

بالعلوم الحديثة واعتماد الملاحظة الدقيقة كوسيلة لاكتشاف الحقائق بدون تحيز أو مبالغه، وان لا نحجم عن ممارسة الفنون بكل أنواعها بل ممارستها وتوجيهها توجيهاً تربوياً وهي (الموسيقى . الرسم . التصوير . النحت . الشعر . التمثيل . الأعمال اليدوية والميكانيكية) بكل أنواعها. كما علينا أن لا نكون بعيدين عن الإفادة من وسائل الإعلام بكل أنواعها.

لقد أصبحت دراسة تاريخ التربية وتطور الفكر التربوي ضرورة ماسة إذ ستمكننا من فهم الدور الذي قامت به التربية في تطور الحضارة الإنسانية وتنمية الفكر الإنساني وازدهار المجتمعات إذ تعد التربية من أهم الوسائل المساعدة في إصلاح المجتمع وتحقيق أهدافه في التقدم والتطور ولذلك آمن بها الكثير من المفكرين والمصلحين فجعلوها إحدى وسائلهم المهمة التي تساعد على تحقيق أهدافهم ونشر مبادئهم.

إن دراستنا لتطور الفكر التربوي يجعلنا نستخلص العبر والدروس لمعالجة المشكلات الحاضرة في ضوء فهم الماضي مما يحتم علينا إبراز آراء المفكرين وفلاسفة التربية ودراسة تلك الآراء والتصورات التربوية في إصلاح الإنسان وبناء المجتمع وتطوره ومحاربة التخلف، هذه الآراء لم تنضج في أذهان أصحابها إلا نتيجة لتصوراتهم وتأملاتهم ودراساتهم لظروف مجتمعاتهم وتعرفهم عن قرب مما تعانيه تلك المجتمعات من الآم وما تحلم به من آمال (٢٧:ص٤).

فالمفكرين لم يتبنوا تلك الآراء إلا بعد أن تأكد لهم أهميتها في خدمة قضايا مجتمعاتهم وقدرتها على معالجة المشاكل والتحديات وإسهامها في تحقيق التقدم والتطور (٢٣:ص١٤). إن ابتعاد هذا الجيل عن لغته وسخريته منها ومن التراث، محاولاً التخلص من المعاني الأصيلة ليغطي على ضعفه اللغوي وقلة محصوله في المفردات والكلمات (٢:ص١٢٢).

ومن خلال ما طرح من مقترحات ووسائل لدعم التربية وجعلها تربية متكاملة علينا جميعاً كمربين في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي على توحيد البشرية في ظل رب واحد وقيم أخلاقية واحدة وحقائق علمية واحدة.

الفكر التربوي عند محمد فاضل الجمالي:

إن فلسفة محمد فاضل الجمالي هي فلسفة إسلامية تعتمد على تقديم التربية التي تساعد أبناءها من اجل خدمة الأمة العربية ليكونوا مواطنين مؤمنين مخلصين قادرين على خدمة الأمة والإنسانية جمعاء، ولذلك أكد على مبدأ:(كيف ما تكون التربية اليوم تكون الأمة غداً) ولذلك تقع على عاتق أولياء الأمور والمعلمين ورجالات التربية مسؤولية المحافظة على أمتهم وبناء المواطن بناءاً صالحاً وهذا يعتمد على مبادئ وأسس يمكن من خلالها إصلاح الأمة والمجتمع ومنها:

١. دراسة الواقع الإنساني وما فيه من عناصر القوة والضعف، حيث أكد على الاهتمام بلغة الأمة وتراثها وتاريخها وبدونها تصبح عليلة (٢٧:ص٣٩).

٢ـ لا بد من معرفة الأهداف التي نسعى لتحقيقها في حياتنا، ولا بد أن تكون أهدافاً تتسم النمو والحركة والشمول والواقعية.

٣ـ تهيئة الوسائل الكفيلة من اجل الوصول إلى الأهداف وتحقيقها (٧: ص٤٢) ولذلك يرى الجمالي إن مهمة التربية ليست بالمهمة الهينة ولا البسيطة فهي تتطلب تفكير جديداً على أسس أخلاقية علمية إنسانية شاملة.

ملامح الفكر التربوي عند محمد فاضل الجمالي:

١ـ مبدأ الشمول والتوحيد:

ويعني بالشمول الاهتمام بنواحي الكيان كلها، وهو يتطلب معرفة كل العناصر المكونة للوجود مادية كانت أم معنوية.

أما التوحيد: فهو الترابط لنواحي الحقيقة كلها وربطها ببعضها وانسجامها وتوازنها.

٢ـ مبدأ الأخلاق:

لقد عّد الأخلاق الاسمنت الذي يعتمد عليه بناء الأمة، فإذا كان مغشوشاً وفاسداً فانذر الأمة بالانهيار، ولذلك أكد على الأخلاق، بقوله نريد أمانة، نريد صدقاً، وهي مهمات وواجبات مربي التربية، فلا تحيا امة ماتت ذمم أفرادها وضمائرهم.

٣ـ مبدأ الإنسانية:

إن الإنسان في نظره كائن مفكر وهو مزيج من الجوانب الروحية والمادية، ولم يجعل هناك فرقاً بين الأفراد مستنداً إلى (لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى)، (وكلكم سواسية كأسنان المشط)، ولذلك أكد على مبدأ الإنسانية والإخوة والمساواة مع شعوب العالم جميعاً (١٠:ص٥٦).

٤ . مبدأ القومية:

أكد على اللغة العربية بوصفها إحدى اللبنات التي تستند إليها القومية العربية ومطالب الإنسان العربي بان يعمل على تحرير البلاد العربية المغتصبة (١١:ص٤٢).

٥ ـ مبدأ الحرية:

أكد الجمالي على مبدأ الحرية وعدها وسيلة لإظهار المواهب الكامنة عند الإفراد ولا تؤثر على الآخرين، ولا تفسر بأنها الأنانية الفردية.

٦ ـ مبدأ الأصالة والمعاصرة:

لقد أكد الجمالي على استمرارية الاتصال ما بين المجتمع العربي والمجتمعات الراقية المتقدمة للاستفادة منها في مجالات العلوم والتقدم العلمي، وان لا ننسى الماضي بل يمكن الاستفادة منه وتوظيفه في معرفة الحاضر والتخطيط للمستقبل (٢٧:ص٨٥).

٧ ـ مبدأ الديمقراطية:

فقد دعا الجمالي إلى ديمقراطية التعليم وفتح المجالات وتيسير الفرص العلمية أمام أبناء الشعب في الريف والحضر والأغنياء والفقراء وعلى اختلاف الطوائف، واستثمار الطاقات البشرية بكل أنواعها من اجل إفادة الأمة العربية لكونها ثروة بشرية يجب استثمارها بالطرق الخاصة (١٠:ص٢٢).

٨ ـ مبدأ تعليم المرأة:

بالرغم من مبدأ تكافؤ الفرص، إلا انه نادى وبشكل واضح بتعليم المرأة حيث قال: (إن من مظاهر النهضة الحديثة في التربية الإسلامية تعليم المرأة وبالذات الفتاة المسلمة من اجل تنمية المواهب والاهتمام بها لكونها من أمهات المستقبل، وقيامها بتربية الأطفال تربية تربوية وإسلامية، وطالب أن تواصل المرأة دراستها العالية (١٢:ص٢٥).

٩ ـ مبدأ العمل:

إتقان الفرد لعمله أعده الجمالي واجب وان يفخر بعمل يديه، لان التربية الحديثة هي التي تؤكد على العمل واستخدام الوسائل والطرائق النظرية إلى ممارسات عملية تفيد الفرد أولاً والمجتمع ثانياً وقال إن العمل شرف

١٠ ـ مبدأ الاهتمام بالتربية الصحية:

لقد بصر الجمالي وأكد على أهمية العناية بصحة الطلاب وتعليمهم القواعد الأساسية في الصحة، وحملهم على تطبيق هذه القواعد على أنفسهم وفي بيوتهم ومجتمعهم، وبذلك يمكن تأمين الشروط الأولية للمواطن، ويبقى التعليم الصحي وتنمية القابليات العقلية لدى الأطفال وفي المجالات كافة، وغرس العادات الصحية والآداب الاجتماعية في الطفل وتحريك ميوله وتغذية مخيلته وعقله بما يتطلبه من المعرفة للأشياء وتوجيه الطفل توجيه روحياً يتناسب ومدارك الطفولة وأولاعها (٣٢:ص٣٧).

مشكلاتنا التي تواجه التربية وتعطل مسيرتها:

هناك مشكلات عديدة تواجه مفكرينا ورجالات التربية في وطننا العربي، فالأمة العربية قافلة تسير مقدمتها في عصرنا وماخرتها في القرون الوسطى، أو في الحياة القبلية.

كذلك مشكلة احتلال واغتصاب أرضنا العربية فلسطين من قبل اليهود، وعيش الشعب الفلسطيني تحت نير الاستعمار، في حين هناك مشكلات تنشئة الجيل العربي تنشئة إقليمية ضيقة وإيجاد الحواجز بين أقطار الوطن العربي، وانتشار المرض والجهل والتخلف العلمي والفكري والتعصب الديني والطائفي، والإيمان بالخرافات وعدم الإيمان بتعليم المرأة بوصفها نصف المجتمع (١٣:ص٣٢).

كذلك الحكم الدكتاتوري من قبل القادة والحكام، وقلة الكفاءة والقدرة على إدارة دفة الحكم بالجوانب العقلية والسياسية بشكل معقول. وهذا يؤدي إلى عدم الاستقرار، فتبديل الوزارات بشكل مستمر لا يؤدي إلى الاستقرار وتطور البلد، إضافة إلى تحقير العمل اليدوي، وقلة المدارس وندرة الكتب والمستلزمات الدراسية والسائل المختلفة، وعليه يؤكد الجمالي على قيام فلسفة عربية موحدة قائمة على مبدأي الشمول والتوحد علاوة على الاهتمام الجاد بالعمليات التعليمية من طرائق تدريس وإعداد المعلم والمنهج والوسائل التعليمية، وأمور أخرى تخص البناية والفعاليات الصفية واللاصفية. وان يكون العمل مبدأ أساسياً في وضع أهداف التربية، ويكون التعلم حسب الأساليب والطرائق الحديثة وان يكون إعداده متفقاً مع التقدم العلمي وان نتواصل مع ثقافات العالم المتقدم لكي تستفيد من منجزاتهم الطبية والهندسية وفي العلوم كافة، من اجل الاستفادة منها وتضمينها الأساليب الحديثة بالتعلم وإعداد التربية عملية مستمرة ومتطورة (١٣:ص٤٢).

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات:

الاستنتاجات:

لقد توصل الباحث من خلال دراسته لفلسفة الجمالي المقترحة إلى الاستنتاجات التالية:

١. كان للجمالي أفكار إسلامية يحاول من خلالها توحيد الأمة العربية في بناء فلسفة التربية المقترحة.

٢ـ يحب العلم والعلماء ويحاول أن يأخذ بأيدي العلماء من اجل تطوير أفكارهم وتطبيقها عملياً في الميادين كافة.

٣. أكد على التراث والحاضر والمستقبل (الأصالة والمعاصرة) والاستفادة من تجارب العالم المتقدم ولكن دون التقليد الأعمى.

٤ـ أكد على أهمية اللغة العربية واعدها من الأسس الرئيسة في بناء الوحدة العربية ومبدأ تكافؤ الفرص لكل الأفراد.

٥. أكد على أهمية الإنسان وعده خليفة الله في الأرض ويجب العناية به والبحث في كل شيء فيه.

٦ . أكد على استخدام الديمقراطية من قبل الرؤساء العرب من اجل تطوير التعليم واختيار الطرائق والمناهج الدراسية المناسبة لكل طالب وحسب قدراته العقلية ودوافعه الذاتية.

التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

١ـ دراسة المفكرين العرب الذين نادوا بتطبيق فلسفة عربية موحدة وإجراء مقارنة بين أفكارهم من اجل معرفة نقاط الاتفاق والاختلاف وتحليلها لكي نتوصل إلى فلسفة مرضية لكل الأمة العربية بعد دراستها واقعيا واجتماعياً.

٢ . دراسة مناهج البحث والتدريس (النظم التربوية) لكل البلاد العربية لكي نتعرف على نقاط الاتفاق والابتعاد ومحاولة تجاوزها عند بناء فلسفة موحدة.

المقترحات:

بعد أن أنهى الباحث بحثه ومن خلال دراسة الفلسفة العربية المقترحة التي قدمها محمد فاضل الجمالي، يقترح الباحث بعض المقترحات منها:

١. إجراء مؤتمرات دورية لدراسة كل المفكرين والفلاسفة العرب الذين قدموا بحوثاً أو مقترحات أو كتابة ورقات بخصوص وجود فلسفة تربوية موحدة في الوطن العربي (١١:ص٧٢).

٢ـ من خلال المؤتمرات التي حددت في النقطة الأولى، التوصل إلى مسودة لفلسفة عربية متكاملة متقاربة من سياسات وأنظمة الوطن العربي، وطرحها بمؤتمر تربوي عربي على مستوى وزراء التربية والتعليم العرب من اجل البت فيها لكي تكون جاهزة للتطبيق بعد أعوام والاستعداد إليها (٧:ص٣٧).

٣ـ إنشاء كلية الدراسات العليا أو جامعة للدراسات العليا تكون متخصصة لإعداد كوادر تدريسية للجامعات والمؤسسات التي تحتاج إلى هذه الكوادر وان يختار لها أساتذة متميزين في الاختصاصات الدقيقة لكي تبنى منذ البداية على أسس سليمة ونجني منها ثماراً ناضجة، يمكن الاستفادة منها وسد النقص الحاصل في الجامعات الأخرى.

المصـــــــادر

*** القرآن الكريم**

١. البسام، عبد العزيز، العربية الفصيحة لغة التعليم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦.

٢. الجابري، محمد عايد، قضايا الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٧٧.

٣. الجعفري، ماهر إسماعيل، كفاح العسكري، الفلسفة التربوية والإستراتيجية والأهداف السياسية في رزمة مديري المدارس، بغداد، ١٩٨٨.

٤. الجعفري، ماهر إسماعيل، فلسفة التربية، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٩٠.

٥ـ الجمالي، محمد فاضل، فلسفة تربوية متجددة، أهميتها للبلدان العربية، فلسفة تربوية متجددة لعالم عربي متجدد، دائرة التربية بالجامعة الأمريكية، مطبعة دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٦.

٦ـ الجمالي، محمد فاضل، نحو توحيد الفكر التربوي في العلم الإسلامي، الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٢.
٧. الجمالي، محمد فاضل، الفلسفة التربوية في القرآن الكريم، دار الكتاب الجديد، تونس، ١٩٦٦.
٨. الجمالي، محمد فاضل، نحو تجديد البناء التربوي في العالم الإسلامي، الدار التونسية، ١٩٨٤.
٩. الجمالي، محمد فاضل، تربية الإنسان الجديد، الشركة القومية للتوزيع، ١٩٦٧.
١٠ـ الجمالي، محمد فاضل، نحو تربية مؤمنة، فلسفة تربوية متكاملة لتحقيق مجتمع إسلامي ناهض، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٧.
١١. الجمالي، محمد فاضل، آفاق التربية الحديثة في البلاد النامية، تونس، ١٩٦٨.
١٢. الجمالي، محمد فاضل، تربية الإنسان الجديد، الشركة القومية للتوزيع، ١٩٦٧.
١٣. الجمالي، محمد فاضل، مخاطر الصهيونية، دار الكتاب الجديد، تونس، ١٩٦٨.
١٤. خالد، علي دريد، الفكر التربوي عند ساطع الحصري، وزكي نجيب، واحمد مشيل، دراسة مقارنه، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٩٨.
١٥ـ الزهيري، عبد الكريم محسن، صفوف التربية الخاصة لبطيئي التعلم في محافظة الأنبار (الواقع والطموح) مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، كلية التربية، العدد / ٢٠، لسنة ٢٠٠٠.
١٦. الزهيري، عبد الكريم محسن، المعلم مهندس المجتمعات وباني فكرها التربوي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد الثالث، تشرين الثاني، ٢٠٠٦.
١٧. الزهيري، عبد الكريم محسن، الصعوبات التي واجهت الطلبة المقبولين في كلية التربية، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد التاسع، ٢٠٠١.
١٨ـ الزهيري، عبد الكريم محسن، رفاعة الطهطاوي مفكراً تربوياً، مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية، جامعة الأنبار، العراق، العدد الأول، آذار، ٢٠٠٤.
١٩. الزهيري، عبد الكريم، الكندي فيلسوف العرب وفكره التربوي، مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية، جامعة الأنبار، العدد الرابع، ٢٠٠٤.
٢٠. الزهيري، عبد الكريم محسن، الفكر التربوي في حياة الشيخ محمد عبده، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، كلية التربية، العدد /٤٧، لسنة ٢٠٠٢.
٢١ـ الزهيري، عبد الكريم محسن، ساطع الحصري مفكراً تربوياً، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد الأول، آيار،٢٠٠٦.
٢٢ـ الزهيري، عبد الكريم محسن، الفقيه احمد بن حنبل وفكره التربوي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد الثاني، تموز، ٢٠٠٦.

٢٣. الزهيري، عبد الكريم محسن، الفكر التربوي في العراق خلال القرن العشرين، أطروحة دكتوراه،جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ٢٠٠٣.
٢٤ـ الزهيري، عبد الكريم محسن، الأصول في البحث العلمي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد الرابع، كانون الثاني، ٢٠٠٧.
٢٥. صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي، مجلد ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧١.
٢٦. عبد الرزاق، مصطفى، تمهيد لتاريخ الفلسفة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ب . ت.
٢٧. عبد الغني عبود، نحو فلسفة عربية للتربية، دار الفكر العربي، ١٩٧٦.
٢٨. العفيفي، محمد الهادي، الأصول الثقافية للتربية، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤.
٢٩. علي، سعيد إسماعيل، الفكر التربوي العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨.
٣٠ـ غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، دار العلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٥.
٣١. مرسي، سعد احمد، تطور الفكر التربوي، القاهرة، دار الهنا للطباعة وعالم الكتب، ط٢، ١٩٧٠.
٣٢. مركز دراسات الوحدة العربية، الفلسفة العربية المعاصرة (مواقف ودراسات)، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.
٣٣. النوري، عبد الغني، نحو فلسفة عربية للتربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦.